المحاضرة السابعة: أثر الإسلام في الشعر العربي :

اجمع كل الدّارسين للأدب العربي الذين واكب فترة صدر الإسلام عن التغير الذي أصاب موضوعات الشعر و هذا الأثر نجده في قصائد "حسان بن ثابت ، و"عبد الله بن رواحة" لأكثر شاهد على تغيّر موضوعات ومضامين الشعر الجاهلي و مسايرة مواضيعه لمنطق القرآن لأن القرآن لم يحارب ال الشعر لذاته كما جاء في سورة الشعراء و شرح الدكتور سامي مكي العاني موقف الإسلام من الشعر ، فيقول: "أن القرآن لم يحارب الشعر لذاته هذه الاحكام وإنما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر و الشعراء ، منهج الأهواء و الانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المذمومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها"[1] ويقول كذلك يحيى الجبوري :"حيث يرى أن نظرة الإسلام الى الشعر جاءت منسجمة و طبيعة المرحلة التى شهدتها الدعوة الإسلامية ، وظروفها كما أن الدين ذم الشعر والشعراء في الفترة الأولى من الدعوة لأنهم اتهموا الرسول بأنه شاعر ، لأنه لو كان شاعر لصح اتهامهم له، و أما في الفترة الثانية فشجع الإسلام على قول الشعر لأنه سلاح مهم للرد على شعراء الكفار"[2]

وهذه المرحلة ما قبل الفتح الإسلامي أدى فيها الشعر دور فاعل في هجاء الأعداء من الكفار والمشركين الذين كانوا يستخدمون فن الهجاء للحط من قدر الرسول صل الله عليه وسلم كما يلفت الدكتور انظار الدارسين الى مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي فيقول:" اما بعد الفتح وقهر قريش العدد الأول فيكون الشعر قد انهى مهمته الحربية و انتهى دوره في الهجاء فقريش عدو الامس قد أصبحت بعضا من المسلمين و قد عاد اجترار الشعر وتقاذفت به مكة والمدينة خطرا حظره المسلمون لأنه يثير الضغائن والأحقاد"[3]

تغير المعاني وتطورها وتبدلها:

---

[1] سامي مكي العاني : الإسلام و الشعر (د.ط)المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت 1996م ، ص 35

[2] ينظر : يحي الجبوري : شعر المخضرمين و أثر الإسلام فيه ، ط1، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق، 1964م ، 35

[3] يحي الجبوري شعر المخضرمين، 40

لعل لكل عصر كلمات ومعاني متواضع عليها بين الناس متداولة على شكل ألفاظ تدل عليها، و لما جاء الإسلام أضاف الى المعاني الموجودة منذ الجاهلية معان لم تكن موجودة و لم تكن متداولة وقد اخترع الإسلام ألفاظ توكب روح العصر و تعاليم الدين فأصبحت تلك الألفاظ لها معاني مغيرة على التي كانت في الجاهلية وبهذا أصبح القرآن مستلهما بألفاظ جديدة تتناسب بأطر الحياة الجديدة أو في جانب الحياة السياسية والاجتماعية و الإدارية واستشهدنا بقول مكي العاني :" تفيض الأشعار يعني أشعار الإسلاميين _ بتلك المعاني الجديدة و يصدر الشعراء عنها في كثير من اثارهم الشعرية و تلقانا تلك المعاني في صور مختلفة لدى الشعراء فبعض المعاني المتداولة بين الناس لم تعد لها تلك المعاني المعروفة بينهم بل أصبحت تعني أشياء جديدة اخذها الشعراء عن الإسلام"[4]

مثلا لتغير معنى لفظة الحزم التي لم تعد تعني ما كانت تعنيه في الجاهلية فأصبح معناه تقوى الله يقول الفضل بن العباس:[5]

والحزم تقوى الله فاتقه ترشُد، وليس لفاجر حزم

تطور اللغة:

تطور لغة الشعر القديم في مرحلة صدر الإسلام من اهم القضايا التي تعرض لها النقاد قديما وحديث ولعلى اول من عرضها من القدماء القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة وكان ذلك في معرض حديثه عن ضعف الشعر الإسلامي وأكد هذا ما جاء في الشعر اذ يقول ابن الأثير في المسل السائر : "فلما ضرب الإسلام بجرانه و اتسعت ممالك العرب و كثرت الحواضر و نزعت البوادي الى القرى و فشا التأدب و التطرف، اختار الناس من الكلام ألينه و اسهله و عمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة فاختاروا احسنها سمعا و ألطفاها من القلوب موقعا والى ما للعرب

---

[4] سامي مكي العاني : الشعر والإسلام ، ص222

[5] الفضل بن العباس : ديوان الفضل بن العباس اللهبي ، تح عبد الحسين النجم ط1 مؤسسة المواهب ، بيروت، لبنان 1999م ص37

فيه لغات فاقتصروا على أسهلها و اشرفها كما رايتهم يختصرون الفاظ "الطويل" فانهم وجدوا للعرب فيه نحوا من ستين لقطة اكثرها بشعٌ شنع و الجوثب و الشلهب و الشوذب فنبذوا جميع ذلك و تركوه و اكتفوا بالطويل لخفته على اللسان و قلة بنو السمع عنو هذه الأمثلة تمثل تلط النقلة الحضارية للغة الشعر والتي تركت اثرها في القصيدة العربية على مستوى الالفاظ[6] ويمثل هذا النص لابن الاثير كيف تحضرت ألفاظ اللغة العربية وتهذبت ألفاظها وفقا لما يتماشى و تعاليم الاسلام

طبيعة شعر البداية:

درج الباحثين في دراستهم لأثر الإسلام في الشعر العربي على عدم تقسيمه التقسيم الصحيح فخلطوا بين من دخل في الإسلام مبكرا وتأثر بتعاليمه في شعره ، ومن دخل في الإسلام بعد الفتح ، وعلى المزج بين بيئات الشعراء ، دون تحديد هذا يقول يحي الجبوري: "و الدقة العلمية تقتضي بأن نتلمس آثار الإسلام في شعر الشعراء الذين سكنوا البادية و أوفد وعلى حاضرة المسلمين ، وشعر البادية في الإسلام امتداد للشعر الجاهلي أو بقية الجاهلية في الإسلام"[7]

وكان هذا قبل هجرة الرسول صل الله عليه وسلم على أرجح الاقوال واثناء انشغاله بالمشركين واليهود حيث تأثر الشعر في تلك المرحلة وقل عدد الشعراء ويعلل يحي الجبوري ذلك بقوله :"و الظروف العامة التي أحاطت بهذا الشهر من جهة و انشغال المسلمين في حري قريش و اليهود من جهة أخرى ، جعلت الشعر في البادية في فترة متأخرة ، فأكثر الشعراء المتأثرين بالإسلام ظهروا في الحياة الإسلامية أثناء الفتح ولذلك نجد أسماء قلة من الشعراء الذين دخلوا الإسلام مبكرا وحسن اسلامهم ، وقد تناقلت كتب الأدب و التراجم بعض أخبارهم و أشعارهم و نذكر منهم العباس بن مرداس

مرحلة التحول من الجاهلية الإسلام:

---

6 6 سامي مكي العاني : الشعر والإسلام، ص 223

7 المرجع نفسه، ص224

ويرى محمد أبو ربيع : أن نظم الشعر في صدر الإسلام لا يختلف عن مرحلة الجاهلية و يقول :"وقد بقي بعض الشعراء ينظم الشعر ويعيش الحياة كما كان يفعل قبل الإسلام فالحطيئة و كعب بن زهير ,ان تركت الدعوة الجديدة والمجتمع الجديد بهما بعض التأثير" فالدارس لشعر كعب بن زهير وهذين الشاعرين يمثلان بشعرهما مرحلة انتقالية من فترة الجاهلية بما سادها من ظلام الى مرحلة الإسلام بما تميزت به من تغير في الحياة الاجتماعية و الدينية للمجتمع العربي.

وخلاصة الدرس التي سنعدد فيها بعض مميزات وخصائص الشعر في ظل الإسلام:

_ تغير الألفاظ الوحشية والغريبة الى لألفاظ جزلة سهلة تتميز بالعذوبة وفقا لطبيعة الدين الإسلامي العذبة والمحببة لقلوب البشر فهو دين يسر لا عسر .

_ تغير طبيعة المواضيع التي كانت تقص مآثر العرب وعصبيتهم وطيشهم وسلوكياتهم الغريزية و تمجد وتمدح وتفتخر بمبدأ الأخذ بالثأر في ظل الدين الإسلامي أصبح الشعر يبحث عن انسانيته يستحضر تلك المواضيع الخادمة لإنسانيته ودينه وعقيدته تخلى عن وصف المرأة الفاحش و الخمرة المذهبة للعقل و اهتدى الى مواضيع الأخوة والسلام.

-تغير بعض الالفاظ الصعبة الى الفاظ سهلة التداول وفقا لطبيعة الحياة الحضارية وتسهيلا للمعاملات التجارية و السياسية والاجتماعية في ظل الدين الإسلامي .

فالإسلام جعل لغة العربي الجاهلي لغة مهذبة ورقيقة وتخدم الانسان والعقل والفطرة السليمة بالدرجة الأولى و ارتقى من تلك المواضيع التي تملأها الأحسايس والعواطف الى مواضيع تستهوي العقل الإنساني للاكتشاف وتفسير بعض الأمور المتعلقة بعقيدته و آخرته.